

في الأسماء المؤنثة لابن الحاجب

إحسان جعفر
(سورية)

الأسماء ، فإن كان الاسم ملن تعقل كان التأنيث حقيقياً
كعدد و زينب ، وإن لم يكن كذلك كان مجازياً كشمس
وأذن ، قال ابن مالك :
• وفي أسماء قدروا النا كالكتف .

ويستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث ، أو
إشارةه ، أو لحوق الناء ب فعله مثل هذه الشمس رأيتها
طلعت ، أو ظهور الناء في تصغيره كاذنة ، أو حذفها من
اسم عدده كأربع آذان ، والمؤنثات المجازية الفنااظ محصورة
سُمعت عن العرب ، فيتصرّ عليها ، ويمكن الرجوع
بشأنها إلى كتب المذكر والمؤنث مثل :

1) كتاب المذكر والمؤنث للفراء (المطبعة العلمية بحلب
سنة 1345هـ)

2) كتاب المذكر والمؤنث للمبرد (تحقيق د. رمضان
عبد التواب ، مطبعة دار الكتب بمصر 1970م).

3) البلقة في الفرق بين المؤنث والمذكر لأبي البركات ابن
الأباري ، (تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ،
مطبعة دار الكتب بمصر 1970).

الأسماء المعربة والصفات (المشتقة) المؤنثة في اللغة
العربية تُعرف من حلها لإحدى علامات التأنيث ، وهي
الباء كشجرة ، والألف المقصورة كالشعرى ، والألف
المدودة كصحراء ، ومن السهل تمييزها كشمس ، ونار ،
ورأس ، وبطن ، وطريق . بعضها يعد مذكراً ، وبعضها
مؤنثًا ، وبعضها يجوز فيه الوجهان : التذكير والتأنيث ؛
فككل من البطن والرأس والقلم والباب – مثلاً – مذكر .
وككل من العين والأذن والدار والشمس – مثلاً – مؤنث .
وككل من السبيل والطريق والصراط والمسلك يجوز تذكيره
وتأنيثه . الواقع أن تذكير هذه الألفاظ وتأنيتها لا يقتضي
إلى المنطق بصلة ، وإن الخيال وحده قد خلع على بعض
الأشياء الجامدة سمات الأشخاص ، فانت بعضها ، وذكر
بعضها الآخر. تبعاً لتصوره كلا منها ، ومن هنا كان
اختلاف لغة الحجاز ، ولغة تميم في تذكير بعض الأسماء
وتأنيتها ، فعلى حين يقول أهل الحجاز : هي القر ، وهي
البر ، وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البسر ، تذكير
تميم هذه الألفاظ ...

ونحن نستطيع بمثل هذا التعليق أن نفهم تقسيم المؤنث
إلى حقيقي ومجازي ، وعليه فُقدرت ناء التأنيث في بعض

قدْ كان منها ما يُؤنثُ ثُمَّ ما
 خُبِرَتَ فيه لاختلاف معانٍ
 أَمَا الذي لابدَّ من تأبِيشِه
 سُئُونَ شَبَّهُ العَيْنَ⁽³⁾ والأَذَانَ
 والنَّفْسُ ثُمَّ الدَّارُ ثُمَّ الدَّلُو مِنْ
 أَعْدَادِهَا وَالسَّنَ⁽⁴⁾ وَالكَّيْفَانِ
 وَجَهَنَّمُ ثُمَّ السَّعِيرُ⁽⁵⁾ وَعَقْرَبُ
 الْأَرْضِ ثُمَّ الْآسَتُ⁽⁶⁾ وَالْعَصْدَانِ
 ثُمَّ الْجَحِيمُ⁽⁷⁾ وَنَارُهَا ثُمَّ الْعَصَا
 وَالرَّيْحُ⁽⁸⁾ مِنْهَا وَاللَّظَى وَيَدَانِ
 وَالْغُولُ وَالْفِرْدَوْسُ وَالْفُلُكُ الَّتِي
 فِي الْبَحْرِ، وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ
 وَعَرَوْضُ⁽⁹⁾ شَعِيرُ وَالنَّرَاعُ وَشَلَبُ
 وَالسِّلْمَانُ ثُمَّ الْفَائِسُ وَالْوَرْكَانِ
 وَالْقَوْسُ ثُمَّ الْمَنْجَنِيقُ وَأَرْبَبُ
 وَالْخَمَرُ ثُمَّ الْبَشَرُ وَالْفَخْذَانِ
 وَكَذَالَكَ فِي ذَهَبٍ وَفَهْرٍ⁽¹⁰⁾ حَكَمُهُمْ
 أَبَدًا، وَفِي ضَرَبٍ⁽¹¹⁾ بِكُلِّ مَكَانٍ

4) رسالة في المؤنثات السماوية لنور الدين بن نعمة الله الحسيني (ضمن كتاب البلقة في شذور اللغة ، نشر هنتر وشيفخو ، بيروت 1914)

وقد نظم ابن الحاجب⁽¹⁾ المؤنثات السماوية المشهورة في قصيدة أتبتها فيما يلي نقلًا عن مجموع خطى وجدتها فيه ، وإنما أوردتها دحضاً لمن زعم⁽²⁾ أن في لغتنا مثاث ومثاث من أسماء الجمادات لا تعرف أذكر هي أم مؤنث !! ومن ثم دعا إلى أن نعي الناس من تحطthem عندما يخالفون اعتبارات التذكير والتأنث على النحو الذي تسير عليه اللغة العربية .

قال ابن الحاجب (من البحر الكامل) :

نَفْسِي الْفَدَاءِ لِسَائِلِ وَافَانِي
 بِسَائِلِ فَاحِثِ كِرْوَضِ جَنَانِ
 أَسْمَاءِ تَأْبِيثِ بِغَيْرِ عَلَامَةِ
 هِيَ يَا فَتَى فِي عَرْفَهِمْ ضَرَبَانِ

(1) ابن الحاجب : هو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المتوفي سنة 646هـ ، ولد بصعيد مصر سنة 570هـ ، ونشأ بالقاهرة ، له مصنفات كثيرة وبجاءت شهرته بما صنفه في النحو ، وأهم مصنفاته في الكافية ، والثانية ، وما مطبوع عنان بشرح الرضي ، وفي دار الكتب المصرية مخطوطة من أعماله التحوية في أكثر من سبعة وخمسين صفحة . ولا ابن الحاجب آراء كثيرة اتفق فيها مع بعض النحاة ، وأخرى خالفة فيها جمهورهم .

(2) انظر : المذكرة المؤنث بمجازياً «اقتراح» بقلم محمد خليفة التونسي ، مجلة العربي ، العدد 268 ، الصفحة 134 .

(3) العين : مؤنث ، سواء أكانت بمعنى الباصرة أم كانت لعين الماء ، وللعين في اللغة العربية (48) معنى .

(4) من القم ، وكذا السن بمعنى العمر ، لأنها بمعنى المدة ، يقال : كبرت سنى ، والأسنان كلها إبات إلأ الأضراس والأنياب فإنها ذكران .

(5) السعير : النار ، قال تعالى : «وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا» .

(6) التحل : أنتي ، قال عز وجل : «وَأَوْحَى رَبُكَ إِلَيَّ التَّحْلُلَ أَنْ أَتَخْذِي مِنَ الْجَبَالِ بَيْوتًا» .

(7) الجحيم : النار الشديدة التأرجح قال جل ثناؤه : «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» وقال : «وَإِذَا الْجَحِيمَ سُرَّتْ» ، والكتاب اليوم يذكرون الجحيم ، وهو خطأ .

(8) جميع أسماء الرياح مؤنثات بمجازية ماعدا الاعصار فذكر .

(9) عروض الشعر وغيره أنتي كما قال الشاعر :

ومازال سوطى في قراني ومحجني

والعروض هنا الثاقف ، وللعروض معان كثيرة منها : الطريق ، وميزان الشعر ، والجدي ، والليس ، والسحب ، والطعام ...

(10) الفهْرُ : الحجر .

(11) الضرب : العسل الأبيض يقال : الضرب البيضاء .

والعين للبنبوع والدرع التي

هي من حديده قط والقدمان

وكذاك في كيد، وفي كريش، وفي

سقير⁽¹³⁾، ومنها الحرب والتعلان

وكذاك في فرس، وفي كأسه وفي

أفعى، ومنها الشمس والعقبان

والعنكبوت⁽¹⁴⁾ نحوه والموسى معاً

ثم اليدين، وإصبع⁽¹⁴⁾ الإنسان

والرجل منها والسرابيل التي

في الرجل كانت زينة العريان

وكذا الشهال من الإناس، ومثلها

ضبع، ومنها الكف والساقان

أما الذي قد كثت فيه مخيرة

هو كان سبعة عشر في البيان

السلم⁽¹⁵⁾ ثم العسل⁽¹⁶⁾ ثم القيدر⁽¹⁵⁾ في

لغة، ومثل الحال⁽¹⁷⁾ كل أوان

واللبيث منها والطريق وكالسرى
ويقال في عنى كذا ولسان⁽¹⁸⁾

وكذاك أسماء الليلي والضحى⁽¹⁹⁾

وكذا السلاح لفاته طعن

والحجم هنا في الفقا أبداً وفي

رجس وفي السكين والسلطان

وقصيقي تبقى، وإنني اكتسي

ثوب الفتاء وكل شيء فان

وبهذا تكون قد انفردنا لأول مرة بنشر الرواية
الصحيحة، المؤثقة، لقصيدة ابن الحاجب الموسومة
بالمؤنثات الساعية، وكان لويس شينخو مدير مجلة الشرق
قد نشرها بدون اعتناء سنة 1908 في بيروت، وأعاد
طبعها في كتاب «البلفة في شذور اللغة» سنة 1914، ييد
أن طبعته السقية جاءت مشحونة بالتحريفات، وملية
بالخطاء الشيعية، فضلاً عن تصحيف معظم ألفاظها،

(12) هي جهنم، معرفة متنوعة من الصرف قال تعالى: «وما أدرك ما سقر لا تبني ولا تذر».

(13) العنكبوت: مؤنة واحدة كقول الله عز وجل: «كمثل العنكبوت اخذت يثأ».

(14) الأصابع: إثاث كلهن إلا الإيمان فإن العرب على ثانيتها إلا بني أسد أو بعضهم فإنهم يقولون: هذا إيمان، والثانث أجداد.

(15) يعني الصلح.

(16) القيدر: أثني، وذكرها بعض قيس.

(17) الحال: أثني، وأهل الحجاز يذكرونها، وربما أدخلوا فيها الماء قال الشاعر:

على حالة لو أن في القوم حانعاً على جوده لفنَّ بملاء حامٍ

(18) اللسان يذكر، وربما أثنت وإذا قصدوا باللسان قصد الرسالة أو القصيدة. (أو اللغة) قال الشاعر:

لسان المرء تهديها إلينا وحيثَ وما حبتك أن تحينا

ويروي لسان السوء، وقال الآخر:

أثنتي لسان بي عامر أحديها بعد قولِ نُكْر

وذكرها الخطيبة فقال:

نسمتُ على لسان كان مني فليت بأنه في جوف عِنْكِم

وأما اللسان بعيته فلم يسع من العرب إلا مذكراً، ومن جمِع اللسان المذكر قال في جمِعه «السنة» وجمعه الكبير «السن»، ومن

أثَّ فيجمع على «السن».

(19) الضحى: أثني يقال ارتفعت الضحى، وتصغيرها ضحىًّا بغير الماء كأنهم كرهوا أن يشبه تصغيرها تصغير ضحوة، قال الشاعر:

يُفْعِتُ خُلَيْطاً بعدما اشتدت الضحى بمرتبٍ عالي النشاز ربيع

ومعنى يفعت ارتفعت (وخلينا) اسم جبل.

ضعيّة لا يُعتَدُ بها ، أو كان من متوك الكلام
ومهجوره .

المراجع

- 1) المذكر والمؤنث للقراء (حلب 1345هـ).
- 2) المذker والمؤنث للمبرد (مصر 1970).
- 3) مختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي المطبعة العلمية
بحلب سنة 1345هـ.
- 4) أزهار الفصحى في دقائق اللغة لعباس أبو السعود ،
دار المعارف بمصر 1970.
- 5) مجلة العربي ، العدد 268.
- 6) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح .
- 7) المدارس النحوية لشوقى ضيف .
- 8) كتاب خط قديم .

ولا أدرى كيف أجاز لنفسه أن ينشرها بتلك التشوّهات
فغدت عنده أسماء عديدة مذكورة لا يجوز تأثيرها مؤنة ،
والعكس أيضاً ، وما يُؤسف أن أحد الدارسين ، فهو
عصام نور الدين نقل قصيدة ابن الحاجب المذكورة من
كتاب شيخو ، وضمنها كتابه «أبالية الفعل في شافية ابن
الحاجب» الصادر حديثاً في بيروت ، وهو عبارة عن
رسالة دكتوراه ، ويلوح أنه لم يتبّه إلى الأخطاء الواقعية
فيها ، ونأمل منه تصحيحها في طبعة الكتاب القادمة .

وكما رأيت فإنَّ الأسماء المؤنثة مجازياً المتداولة في عريتنا
اليوم التي وشح ابن الحاجب بها قصيده لا تعدُّ أكثر من
ستين اسمًا يزيد عليها أسماء البلدان ، وحرروف الهجاء ،
والحرروف نحو: في وعلى ... وتسوية إجازة تذكرها
وتأثيرها مردود ، وإنَّ الاقتراح الذي طالعناه مؤخرًا بهذا
الشأن ، يسقط فيما إذا حُصرت هذه الأسماء ، وتنتَ
معرفتها وضريبَ صفحَاً عما اختلفَ فيه ، وجاء بلهجاتِ